الصوت اللغوي وأثره في توجيه الدلالة، سورة الصف أنموذجًا

أ.م. د. رشا ياس عبد نصار
rash.y@coeduw.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

المستخلص

الملخص:
تنتمي الدراسات الصوتية لمرحلة زمنية قديمة تبدأ مع بدية الدرس اللغوي العربي، لارتباط الصوت بالتلاوة القرآنية، فكان الاهتمام مسلطًا للوصول إلى القراءة النموذجية للنص القرآني، لكن مرحلة التحول في الدراسات الصوتية الحديثة ظهرت مع اطروحات (دي سوسير) في مجال علم اللغة، وتمثل الدراسات الحديثة للأصوات بارتباطها بعلم الدلالة، وأثر الصوت في تحديد الدلالة.
وقد حدد الباحثون في هذا المجال صفات الأصوات، وارتباط الصفة جاء عن طريق الربط بدلالته، والمخرج الخاص بكل صوت، مما يشكل الارتباط الوثيق بين الصوت اللغوي والاستعمال السياقي، الأمر الذي يمكن ربطه ما بين الصوت والبنية النفسية، فالصوت يؤثر في عملية الاستقبال لدى المتلقي، بناءً على تحديد منطقة خروجه وصفته الصوتية (مجهورًا/ مهموسًا)، بل ويدخل الصوت ضمن مفهوم السياق العام للجمل.
وفي دراستنا هذه سنحاول الربط بين الصوت والمعنى، وأثر الصوت على تحديد المعنى المراد، ومدى مناسبته للسياق الذي جاء فيه، ضمن بنية النص القرآني، مع اختيار صورة الصف كنموذج للبناء الصوتي، والتركيز على بدايات الآيات ونهاياتها.
الكلمات المفتاحية: الصوت اللغوي، دراسة في المعنى، النفس، سورة الصف.

توطئة:

يحمل الصوت عمومًا دلالة في الفكر الإنساني، بوصفه دالًا على شيء ما، وعندما نقول الصوت لا نعني بالضرورة أن يكون الصوت حاملًا للحروف الخاصة بأي لغة ما، فقد يكون الصوت صفيرًا أو صراخًا أو ما شابه ذلك، فلا بد من حمله لدلالة ما، وهذا يشمل التأوه والضجر وكل عبارات التعبير النفسية لحادثة ما، أو ردة فعل، فيكون الصوت الصادر من الإنسان حاملًا لمعانٍ بعضها يكون ثقافيًا وبعضها نفسيًا ذاتيًا، إلَّا أنَّ الصوت الصَّادر من عمليات التواصل، أو إرسال رسالة ضمن النص اللغوي، يأخذ خصوصية الاتفاق الثقافي والدلالة المحددة من جهة، ومتشظية من جهة أخرى، فالدلالة المحددة تأتي من الاتفاق على دلالة الصوت ضمن البيئة الواحدة، والمتشظية تمثل البناء النفسي والثقافي والتاريخ الحضاري، أي خضوع الدال للمؤثرات الخارجية، أما ارتباط الصوت اللغوي مع البناء النفسي، وأثره في تحديد الدلالة ضمن النص اللغوي القرآني، فهو قائم على التواصل ما بين المخيلة العربية (قابلية التلقي) والاستعمال اللغوي، لذلك سنحاول تحديد الصوت وما يحمله من معانٍ ضمن إرسال الرسالة القرآنية.

مفهوم الصوت في اللغة والاصطلاح

الصـوت لغة: يحدث الصـوت عندما يتدفق الهواء من الرئتين أعلى القصـبة الهوائية (الرغامي) وعبر الحنجرة. يؤدي ذلك إلى اهتزاز الأحبال الصـوتية مما ينتج صـوتًا يتشكل الصوت في هيئة كلمات بواسطة العضلات التي تتحكم في الحنك الرخو واللسان والشفاه[1]، وورد في المعاجم أنَّ الصوت "قد صاتَ يَصُوتَ ويَصاتُ صَوتاً، وأَصاتَ، وصَوَّتَ به: كلُّه نادَى. ويقال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً، فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّت بإنسانٍ فدعاه"[2]. وهنا يدل الصـوت على النداء، "صـاتَ يَصُـوتُ ، كقالَ يَقولُ. و صـاتَ يَصَـاتُ، كخاف يَخافُ، صَـوْتاً، فيهمَا، فَهُوَ صـائتٌ، أَي: صـائحٌ. والصَّـوْتُ: الجَرْسُ، معروفٌ، مُذكَّر؛ وَقَالَ ابنُ السِّكِّيت: الصَّـوْتُ: صَـوتُ الإنسـانِ وغيرِه. والصّـائتُ: الصّـائح"[3]. فيكون الصـوت ليس خاصًا بالإنسان، بل هو ممثل لكل نتاج يمثل اضطرابًا في سير الهواء، لكن جانبه الإنساني منطلق من ناحية الشـعور النفسـي (الخوف/ الفرح)، ليكون الصـوت ممثلًا للارتباط النفسـي بصورة مباشرة.

الصوت اصطلاحًا: تتفاعل أعضاء الجسد الإنساني فيما بينها لإصدار ردة فعل اتجاه حدث معين، والصـوت واحد من الأسـاليب المسـتعملة في ردة الفعل، وهذه العملية تتطلب وجود عناصر مكونة لإصدار الصوت، فلا بد من وجود جسم في حالة تذبذب، فضلًا عن وجود الفراغ الذي ينطلق فيه الهواء، مع وجود جسم يستقبل الذبذبات[4]، فالجانب الفيسلوجي فعَّال في عملية اصدار الصوت مع الارتباط بين الجانبي الفيسولوجي والجانب النفسي.

فيعرف ابن جني الصوت بقوله: "الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشـفتين، مقاطع تثنية عن امتداده واسـتطالته، فيسـمى المقطع أينما عرض له حرفاً[5]"، فعملية خروج الهواء من جسد الإنسـان تحدد الصـوت الذي يطلق عليه الحرف، هذا الحرف يمثل النفس من ناحية التأثر بالموقف، فتكون دلالة الصـــوت مرتبطة بالجانب النفسـي، "يحتوي الكلام speech على تيار مسـتمر من الأصـوات داخل المجموعات النفسـية، ولا تنفصـل الأصـوات أو الكلمات الواحدة عن الأخرى عن طريق التوقف أثناء الكلام، ولكن كل منهما يجب أن يستخلص من كم متصل"[6]، هذا الاتصال يمثل الارتباط ما بين البنية النفسـية والأصـوات الصـادرة، التي تعبر عن المعنى الداخلي، وقد قامت الدراســات الحديثة على تحديد الصـــوت وأثره في النص بناءً على دراســات (دي

---

[1] - ينظر: الأصوات اللغوية: 6.

[2] - لسان العرب: مادة صوت.

[3] - تاج العروس: مادة صوت.

[4] - أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي: 20.

[5] - سر صناعة الإعراب، - ابن جني تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط 1، سنة 1985: 6.

[6] - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 161.

سوسير) في مجال اللسانيات، فكان اهتمامه (بالفونيم)[7] (والمورفيم)[8]، بوصفها ممثلة للمعنى الكتابي، فهي تمثل دلالة الصوت الصادر من الإنسان دون غيره من المخلوقات[9].

الصوت وارتباطه بالنفس

لا بد من تحديد اللغة بوصفها تعبيرًا عن مجموعة من التفاعلات الداخلية للنفس، إزاء الحوادث الخارجية، أو نتيجة التواصل، فتعد "اللغة المظهر السلوكي الأبرز في النشاط الإنساني، والمحور الأهم في الدراسات التي تتمحور حول هذا النشاط. ويستحيل إتقان اللغة أو ممارستها بشكل سليم دون امتلاك الإنسان قوى عقلية ذات آلية معينة تمكنه من التكلم؛ فاللغة ليست مجرد إصدار أصوات عشوائية من أعضاء النطق الإنساني، إنما هي الأداة التعبيرية الأولى في التواصل البشري، وأيا كانت دوافع هذا التواصل، فإنه يحدث في ذهن كلٍّ من المتكلم والسامع قبل مرحلة الكلام وأثنائها وبعدها عمليات عقلية نفسية بحتة؛ كالتفكير والإدراك، والانتباه، والتذكّر وغيرها"[10]، فالعملية الادراكية بين المتواصلين تعمل على تحديد الصوت المستعمل، وتكشف عن البناء اللغوي والنفسي، بناءً على التكوين الفكري والذاتي للإنسان، والتي تتفاعل لتشكيل النفس وطريقة التعبير عنها، مما يشكل المقدرة لدى الإنسان في التعبير عن نفسه ضمن اطار اللغة، وما يمكن ادراكه في اللغة نفسها[11].

وتنطلق عملية البناء الإدراكي للإنسان منذ مراحل ولادته، إي الارتباط الوثيق بين اللغة المستعملة والنفس، كما أكده (جاك لاكان) بوصف اللغة تحمل رموزًا متعلقة بالذاكرة[12]، و هذا ما ينطبق على الاستعمال الصوتي للحروف (بالتدرج السني)، فالاستعمالات اللغوية للطفل مع عمليات البناء الذاتي تؤثر في انتاج اللغة للفرد، أما الأصوات المستعملة للطفل فترتبط باللسان العضلي وسهولة الاستعمال في المراحل المبكرة، فالطفل العربي يستعمل الأصوات المعبرة عن النفس فضلًا عن سهولة نطقها، فكلمة (بابا) تتكون من حرفين الأول (الباء) القريب من المخرج (اللسان) فيستعمله في بداية الكلمة، وبعض يبدأ باستعمال حرف الباء متكررًا (ببب) نتيجة السهولة، أما حرف الألف فهو الصادر من العمق فيمثل الارتباط النفسي بين الدال المنطلق من الطفل والنفس، فتلبي الحروف الشعور النفسي لديه.

---

[7] - أصغر وحدة صوتية.

[8] - أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى.

[9] - ينظر: علم اللغة العام: فرديناند دي سوسير: 52.

[10] - الفكر البيني في اللسانيات الحديثة، اتجاهات في اللسانيات النفسية، خلود صالح عثمان الصالح، فاطمة جازي سعيد البقمي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم- جامعة المينا، د.ت: 2585.

[11] - ينظر: النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند: 108-109.

[12] - ينظر: جاك لاكان واغواء التحليل النفسي، عبد المقصود عبد الكريم: 22.

هذا الارتباط بين النفس والحرف يحمل الدلالة في المعنى، وهو المنطلق لمعرفة دلالة الصـــوت اللغوي ضـــمن الســـياق الجملي، فالجملة تتكون من مجموعة من (الفونيمات والمورفيمات) التي تهندس المعنى داخل النص، لهذا تصـــبح اللغة القوالب الخارجية للبنية الداخلية وعملية الادراك "اللغة تشـكل وثاقًا نفسـيا، وبيولوجيا، واجتماعيا يربط الفرد بمن حوله. وقد اعتنى علماء النفس المعرفي باللغة؛ لأنها في نظرهم تمثل القالب الذي تتم فيه العمليات العقلية في تخزين المحتوى المعلوماتي في الذاكرة، ورغم جدلية العلماء في تحديد الشـكل الدقيق للمعلومات المختزنة في الذهن؛ من حيث كونه شـكلًا لغويا أو تصـوريا، إلا أن هذا الخلاف لا يغيب دور "اللغة" في التمثيل المعرفي للمعلومات من حيث أن كثيرا من الظواهر الإنسانية كالتفكير، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات لا تتم إلا بواسطة اللغة"[13]، فتتخذ الأصـوات الصـادرة من الإنسـان نسـق التعبير عن المعنى، المرتبط بالنفس، فعمليات الاكتساب اللغوي، ومن ثمَّ التواصلي تعكس عمليات التواصل النفسية بين المتواصلين[14].

أما عملية توظيف الصوت اللغوي، وارتباطه بالنفس ضمن النص القرآني فسنحاول تحديد المعنى المراد من ناحية قيمة الصـــوت اللغوي وارتباطه بالنفس وما يؤدي هذا الارتباط من معنى، لو كان الاستعمال مغايرًا أدى بالضرورة لتغير المعنى، وأعطى صورة تختلف عن الاستعمال الدقيق للنص القرآني.

دلالة الصوت في صورة الصف

أولًا: افتتاح الآيات

يحمل الصوت اللغوي في النص القرآني دلالة خاصة، بوصف النص القرآني خطابًا إلهيًا مصدّرًا للجماعة، فيكون المعنى الصادر للصوت لا يمثل الخطاب التواصلي الفردي، والبناء قائم على استعمال أصوات من دون غيرها، فضلًا عن المعنى الدقيق المراد إرساله في الآيات القرآنية، فالصـوت يتلاءم مع المعنى في اسـتحضـار الدال المناسـب[15]، وهو ما يشـكل الانسـجام[16] داخل النص القرآني، فنجد بداية السـورة تبدأ بالدال (سـبح) المتكون من صوت مجهور هو (والباء) وصوتين مهموسين هما (السين الحاء)[17]، قال تعالى: **"سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّـمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[18]**، ولو نركز على الافتتاح بوصـفه العتبة للدخول في معنى السـورة نجد أنَّ المدخل بدأ بالصـوت المهموس، مما يتناسـب مع المعنى المطروح في الآية، فعملية التسـبيح تأخذ جوانب مختلفة، بحسـب الوجود ضـمن

---

[13] - الفكر البيني في اللسـانيات الحديثة، اتجاهات في اللسـانيات النفسـية، خلود صـالح عثمان الصـالح، فاطمة جازي سعيد البقمي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم- جامعة المينا، د.ت: 2587.

[14] - ينظر: جورج كلاس، الألسنية ولغة الطفل العربي، بيروت: مطبعة نمنم، ط.٢ ،١٩٨٤ : ١٤٩.

[15] - دراسة صوتية ودلالية في شعر الطغرائي، ميثاق حسوني سلطان، مجلة كلية الآداب، العدد 101: 333.

[16] - الإنسجام واحد من العناصر السبعة التي حددها (ديبوجراند) في كتابه (النص والخطاب والاجراء)، ينظر: الكتاب نفسه: 107.

[17] - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 23-24.

[18] - الصف: 1.

فاعلية القدرة على التسبيح، فالحرف المتوسط دل على الجهر، أما الحرف الأخير المهموس، فهو يمثل الجانب الخفي أو الداخلي، ليدل المعنى على وجود التسبيح ضمن فئتين، الأولى مجهورة، تظهر علنًا، والثانية تأخذ الجانب الداخلي للإنسان أو باقي الموجودات، وفي كلتا الحالتين يمثل التسبيح ظاهرة نفسية، هذه الظاهر تأخذ جزءًا منها في الهمس الممثل ثلثا الدال، بوصف الحرف الأول والأخير مجهورين، والثلث المتبقي مهموس، وربما تحمل الظاهرة تقسيم عملية التسبيح على حياة الإنسان اليومية، أو خاضعة للوجود المنقسم في طريقة التسبيح، فهناك تسبيح مجهور ومهموس، راجعًا للكيفية المُعبر عنها.

أما تحديد التسبيح فقد تم عن طريق توظيف صوت (الميم والألف)، عن طريق ما الموصولة، فمن ناحية الصوت فإن الميم والألف أصوات مجهورة، وهي تدل على الاعلان[19] عن الحقيقة أمام الناس، وليس فيها ما يخفى، أما مخرج الصوتين فالميم تصاحبها الغنة[20]، لتعمل على ملء الفراغ، وهنا تلتقي فكرة الصوت مع المعنى، لأن التسبيح جاء بملء الفم، ومن ثمّ صوت الألف الذي مثل العمق في النفس، بوصفه يمثل منطقة الجوف في الانطلاق الصوتي، فإذا ما ركزنا على دلالة الصوت على أنه يمثل مركز النفس (إن جاز التعبير)، وهو ما يجعل حرف الألف ساكنًا، فيكون المعنى الصوتي مقترن مع الدال المنطوق، فيكون المعنى ملائمًا وبناءً على التناغم بين فكرة العمق من النفس التي تدل على اليقين والتصديق مع الميم التي تملء الجوف.

أما في الجانب التركيبي، فقد بدأت الآية بالفعل، والذي جاء بعده جملة اسمية، لتدل الآية على اقتران الجملة الفعلية مع الاسمية لتدل على حدوث الفعل واستمراريته، ليكون معنى الآية على وجود التسبيح بالمطلق ضمن بنية الإنسان، مع الجهر بها بملء الفم، والاستمرار بكل الأفعال الصادرة من الإنسان اتجاه الخالق، وهو ما يكتمل مع (ما الموصولة) الثانية، ليؤكد على سير الفعل الأول ضمن تحديد منطقة التسبيح (الأرض/ السماء)، وهي الخاضعة لقوة الخالق (الله سبحانه وتعالى).

أما الآية الثانية فقد بدأت أيضًا مع وجود الأصوات المجهورة، لتدل على المعنى المناسب لحرف النداء، فالنداء لا يتم بالأصوات المهموسة، فلابد من توفر الصوت العالي لتصل الرسالة، **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ"**[21]، نجد مركزية الصوت في الآية قائم على حرف الألف، الذي يمثل الأعماق النفسية، لتصل الرسالة بصورة أدق، وهو ما وجدناه في نهاية المورفيمات الآتية (يا، أيها، آمنوا، لم، ما، لا)، فصوت (الألف) الدال على السكون، والصادر من الأعماق يساير الحدث في الآية القرآنية، فالصوت المجهور أدى المعنى المراد لتنبيه من يدعون الإيمان ويفعلون العكس، فضلًا عن تكرار أصوات المد الثلاث في الآية (الألف، الواو، الياء) التي تنطلق من أقصى الحلق، أي أقرب مكان

[19] - الاعلامية أو الاعلان، واحد من العناصر السبعة التي حددها (ديبوكراند)، يتظر: النص والخطاب والاجرء: 107.

[20] - الأصوات اللغوية: 21.

[21] - الصف: 2.

للجوف ومركزية الاحساس للنفس، فيكون الارتباط ما بين الدال اللغوي والنفس الإنسانية، ليمثل عمليات التحذير الصادرة من الذات الإلهية للإنسان على وفق ما يشعر به الإنسان.

أما الآية الثالثة فقد بدأت بصوت (الكاف) المهموس، وهو الدال على الفعل الصادر من المؤمنين **"كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ"**[22]، فيدل الصوت المستعمل على اخفاء الفعل، وهو ما نهى عنه الله، فيكون الصوت موجهًا للمعنى وللرسالة، بينما نجد (تفعلون) تحمل الأصوات المجهورة، لدلالة الفعل الصادر، فيكون الاستعمال الصوتي مرتبطًا بالأفعال الصادرة من النفس البشرية، بينما نجد في الآية الرابعة ظهور الصوت المجهور في بدايتها، لأن الكلام الموجه صادر من الله وليس فيه خفاء، فكان الاستهلال بالحرف الدال على الفاعلية الداخلية، لينطلق للنفس البشرية، مع اقرار الحب الصادر من الله، **"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ"**[23]، وفي كلمة (يحب) نجد الحروف المهموس مكونة للمفردة، ليكون الحب مخفيًا ضمن بذية النفس، موجهًا للمؤمنين الملتزمين بالتعاليم، مما يخلق حالة من الانسجام الداخلي في الآيات، بدءًا من (الفونيم) إلى المورفيم ومن ثمَّ الجملة بالكاملة ليحصل الانسجام داخل النص[24] مع الارتباط الصوتي.

وفي الآية الخامسة تستمر عملية توظيف الأصوات المجهورة، فحروف اللين أو المد الصادرة من الأعماق تقوم بوظيفة الربط بين المعنى المراد إرساله والمستقبل الذي يعلم قيمة الاستعمال **"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"**، فالافتتاح بالحروف (الواو، الألف، الذال) المجهورة تناسب فعل القول الصادر من النبي موسى عليه السلام، فيتم توظيف (الياء والألف) في النداء (يا قوم) ليبتعد عن الاخفاء في إرسال الرسالة، مما يشكل حزمة من الرسائل المعلنة، ليتوجه المعنى على وفق الصوت الصادر ضمن بناء النص، فيكون النص الاخباري متكاملًا من جانب المعنى والصوت المستعمل، وهو ما يوظف ضمن افتتاح الآية السادسة، **"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ"**[25]، فالافتتاح مشابه في التوظيف للافتتاح السابق، مما يشكل سلسلة تراتبية من التوظيف الصوتي ضمن المعنى المشابه من ناحية الرسالة، وليمثل الجهر بالصوت من الجانبين (صاحب الرسالة) و (الرافض)، على عكس الآيات الأولى التي ظهر فيها الرفض مبطنًا، فتكون معطيات التوظيف الصوتي بناءً على المعنى المستعمل.

أما الآية السابعة فنجد حضور الصوت الصادر من الأعماق، مع حرفين يمثلان الامتلاء الجوفي، ليكون المعنى شاملًا للجميع مع خاصية العمق النفسي والامتلاء، وهو كلام صادر اتجاه الظالم، ليكون التحذير حاملًا للدلالة العميقة التي تمثل الغضب **"وَمَنْ**

---

[22] - الصف: 3.

[23] - الصف: 4.

[24] - ينظر: النص والخطاب والاجراء: 107.

[25] - الصف: 6.

أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[26]، فإذا كان الحرف يمثل الارتباط النفسي، تكون عملية التوظيف بناءً على المعنى الموجه، فيرتبط المعنى بـ(الدال الصوتي) ليشكل صورة في بنية المتلقي أن الظالم لا يمكن له التخلص من فاعلية الظلم، لتكون الافتتاحيات في الآيات القرآنية ضمن معنى السورة حاملةً للدلالة الصوتية المباشرة، التي تلتقي مع الرسالة **"يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[27]**، فتوظيف الأصوات ينتج المعنى بناءً على سياق السورة، مع الأخذ بنظر الاعتبار ارتباط الأصوات مع المعنى، وهو ما نجده في جميع الآيات المتبقية، التي تحمل الرسالة ذاتها بناء على فكرة (الخفاء/ الاعلان) (الكفر/ الإيمان) (الكذب/ الصدق).

فلو عملنا على تسليط الضوء على الافتتاحيات نجدها قد حضرت ضمن عملية الجهر في أحدى عشرة مرة، كانت تمثل الاعلان في الفاعلية الصادرة من الذات الإلهية ومن السلوك البشري، بينما المرات الثلاث التي ظهر فيها الحرف المهموس كافتتاح للآيات، مثلت صورة الفعل الداخلي للإنسان، فعملية التسبيح تقع ضمن الهمس والجهر، وهو ما ظهر مع (كبر) للدلالة على صيغة الفعل الصادر من الإنسان وموقف الذات منه، فيكون الناتج معنويًا، أما الآية الثالثة التي ظهر فيها صوت الهمس في (هو) ضمن الافتتاح، فترتبط دلالته في النية الصادرة من الذات وغير المشاركة معه، وبين الاعلان ضمن الصوت المجهور (الواو) في ظهور الرسالة، ولو تمت المؤاخذة على هذه الفكرة، لابد من لحاظ فكرة الارتباط ضمن المفردة الواحدة ما بين قيمتها المعلنة وقيمتها المخفية، أو يمكن القول بين الجانب المعنوي والجانب السلوكي، فالسلوكي معلنًا والمعنوي مخفيًا، أما إذ أخذ الجانب المعنوي للظهور فلابد من وجود الأصوات الدالة على ظهوره ضمن فاعلية السلوك، فيكون الصوت وصفته المعروفة موجه للمعنى، أو لنقل هناك ارتباط بين الصوت والمعنى من ناحية الهمس والجهر[28]، وهناك ارتباط بين منطقة اطلاق الصوت والنفس، فكلما كان الصوت أعمق كان دلالته أقوى في النفس، لذلك كان ارتباط الأصوات مع الصفات ارتباطًا نفسيًا أكثر من أي مجال آخر.

ثانيًا: نهاية الآيات (الفواصل)

تمثل الفواصل في الآيات القرآنية المعاني المراد طرحها، ويرتبط الصوت (الفونيم) مع الكلمة (المورفيم) ضمن دلالة المفردة، أي ارتباط الدال مع المدلول ضمن البناء اللغوي

---

[26] - الصف: 7.

[27] - الصف: 8.

[28] - بحث ابن جني في مسألة العلاقة بين اللفظ والدلالة، وهو ما بحث عنه العرب المحدثين منهم أحمد فارس الشدياق، وتحدث عن الرابط بين الألفاظ والدلالة، وبين الصوت والمعنى، ينظر: العلاقة بين الصوت والدلالة، من منظور علماء اللغة العرب المحدثين، عزاز حسنية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثامن ج2، 2017: 369.

الخاص بأي لغة، وهو ارتباط نفســـي ثقافي[29]، وما يتم توظيفه في الآيات القرآنية يمثل النموذج على هذا الارتباط.

فقد ورد في سـورة الصـف أربع عشـرة فاصـلة، مثلت ارتباط الصـوت بالمعنى، بالنظر إلى (الفونيم) الأخير، المقطع الصـوتي الذي يتصـل بمعنى المفردة ومن ثمَّ السـياق، فقد حضـر صـوت (الواو والنون) خمس مرات، كذلك حضـر صـوت (الياء والنون) خمس مرات، بينما حضر صوت (الياء والميم) ثلاث مرات، وحضر صوت (الصاد) مرة واحدة، فدلالة صـــوت (الواو والنون) تأتي من جانبين الأول عمق صـــوت الواو المرتبط بالنفس وأعماقها، فيكون حرف المد بمثابة العمق النفســـي، بينما حرف النون يأخذ جانب التفخيم وملئ الجوف الأنفي، أي عملية امتلاء الجوف من العمق حتى المخرج، فيحمل الصـــوت دلالة الكمال الصـــوتي والتعبير النفســـي الكامل، وهذا ما ينطبق أيضًـــا مع صـــوت (الياء والنون) لأنهما يحملان الصـفة ذاتها لصـوتي (الواو والنون)، أما صـوتي (الياء والميم) فلا يختلفان عن ما سبقهما من المخرج، فيكون الصوت الصادر يحمل الدلالة نفسها تقريبًا، مع الاختلاف الصـوتي الملائم للمفردة والدلالة، أما دلالة صـوت الصـاد فترتبط مع المعنى في الآية.

نلاحظ في جملـة **(الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** ارتبـاط الدال الصـــوتي مع الـدال اللفظي، فـالله سـبحانه وتعالى يأخذ دلالة الحكمة بكامل المعنى (النفسـي) و(اللفظي)، بوصـف الصـوت الصـادر من الأعماق من الامتلاء يلتقيان مع الصـفة الإلهية التي تملء الكون، ضـمن فكرة الترميز اللغوي النفسـي[30]، لتدل اللغة على الارتباط بالذات الخالقة، فيكون الصـوت معبرًا عن معنى الآية، ومرتبطًا بالســياق الدال على الحكمة الإلهية وعلى فاعلية التســبيح التي تخص الله وحده من دون غيره من العباد.

وفي جملة **(مَا لا تَفْعَلُونَ)** فما تمَّ الحديث عنه في ارتباط الدال الصـــوتي مع الدال اللفظي يتجسـد في معنى المفردة، والرسـالة الموجهة، بوصـف عدم الفاعلية من المؤمنين مقرونة بالسلوك، أي ظاهرة، فيكون السياق والصوت يلتقيان ضمن المعنى العميق للآية، والبناء الصـــوتي الداخلي، وهو ما نجده أيضًـــا في جملة **"لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِـقِينَ"** فعدم الاهتداء يرتبط مع مفهوم (الفسق) فيكون الفعل سلوكيًا، والناتج أيضًا سلوكيًا معلنًا، ومثبت لمعنى الرفض، فالرافض يكون بملء الفم هو من ضـمن دلالة الجملة، ليرتبط الصـوت مع سياق الآية.

إنَّ فاعلية القول تأخذ الجانب السلوكي، المرتبط بالمعنى المطروح ففي جملة **"قَالُوا هَذَا سِـحْرٌ مُبِينٌ"** فرفضـهم لك لا يكون فيه تردد، بل على يقين، اليقين الصـادر من النفس والمرتبط مع الدال الصوتي (الياء والنون)، هذا الارتباط يعكس ارتباط الدوال الصوتية مع الدوال اللفظية، ليخلق المعنى الكلي والانســـجام الداخلي، بناءً على الارتباط النفســـي بين الصـوت والمعنى، ليوجه الرسـالة على أسـاس الاستعمال الصـوتي، وهو ما يكتمل مع الآية

---

[29] - ينظر: علم اللغة العام:

[30] - ينظر: الانثروبولوجيا، رمزها أسـاطيرها أنسـاقها، جليبير دوران، ترجمة مصـباح الصـمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 2006: 24.

اللاحقة في جملة **(الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**، ليكتسب الدال المعنى الصوتي، بوصف الظلم خاص بالإنسان الرافض، والحكم الصادر بحقه لا رجعة فيه، لأنه صادر من الذات الإلهية.

ما سبق من تحديد لقيمة الصوت وتوجيه المعنى يترابط مع فواصل الآيات المتبقية **(وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، عَذَابٍ أَلِيمٍ، إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ)**[31]، النهاية تحمل دائمًا الصوت الملائم للمعنى من ناحية الجهر، وهو ما يتلاءم مع سياق الآيات، ليتم التلاحم الموسيقي، واللفظي، والمعنوي، على أساس التلاحم الصوتي، مما يوظف في انتاج المعنى الكلي للرسالة، باقتران الصوت المجهور مع الصوت الحامل للغنة، والذي يملأ الفم، ليشعر المتلقي بتقارب الصوت مع البعد النفسي الداخلي للمتلقي، الأمر الذي ينعكس على عملية التقبل لدى المتلقي، فتصبح حالة من الانسجام ضمن عملية التواصل وليس على المستوى الداخلي للجمل فحسب.

أما صوت (الصاد) فقد ظهر في الآية **" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ"**[32]، وهو ما حقق وجوده المعنوي، فالبنيان المرصوص ضمن عملية التشبيه، وهو لا يمثل الواقع كما هو، بل يمثل الوجود المعنوي، فيكون حرف الصاد المهموس ضمن الوجود التشبيهي وليس الواقعي، وهو ما لا نجده ضمن البنية الصوتية لباقي الآيات، مما يكشف عن الصوت المجهور وخطابه المباشر في هذه الآيات، بينما الخطاب المباشر مع المؤمنين جاء ضمن علمية التشبيه، فحقق المعنى المراد.

أما لو دققنا نهاية الآيات على صوت واحد، نجدها جميعا ضمن نسق موسيقي واحد، يمثل السكون الداخلي، والامتلاء، فقد ورد حرف النون عشر مرات، بينما الميم ثلاث مرات، والصاد مرة واحدة، أي ثلاث عشرة آية ضمن المفهوم الواحد، القابع تحت الجهر، والدال على السكون والاستقرار ضمن الامتلاء، أي صادر عن يقين ودراية.

يتضح مما سبق أثر الصوت وارتباطه في توجيه المعنى ضمن بنية النص القرآني، الكاشفة عن توجيه الرسالة المتضمنة التحذير للمؤمنين، وبيان طريقة التعاطي للكفار مع الرسالة السماوية، مما شكل ثنائية بين (الخير/ الشر)، فكان استعمال الصوت مبنيًا على وجود المعنى الظاهر المجهر به، والمعنى الخفي الذي لا يظهره الإنسان، ومدى ارتباط المعنى بالصوت المستعمل.

[31] - نهاية الآيات من سورة الصف: 8-14.

[32] - الصف: 4.

النتائج:

يتضح مما سبق في ضوء دراستنا الصوتية، ومدى ارتباط الدال الصوتي بالنفس ضمن سورة الصف ما يأتي:

1- ترتبط الأصوات بوصفها دالًا مع الدال اللفظي الحامل للمدلول، فيكون الصوت قريبًا من المعنى الموجود في الدال اللفظي، الذي يتناسب مع السياق.
2- ظهور الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة في بداية الآيات ضمن سورة الصف، مما يتناسب مع سياق الآية ليتوظف الصوت في انتاج المعنى المحدد.
3- ظهرت أصوات اللين المجهورة في نهاية الآيات إلّا آية واحدة، مما عكس الارتباط بين المعنى المطروح والصوت الدال عليه، مع وجود حرفي الغنة (الميم والنون) اللذان أعطيا صفات الامتلاء للفم.

المصادر:

القرآن الكريم.

1. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب- القاهرة، 1997، د. ط.
2. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1950، ط2.
3. تاج العروس، الزبيدي، طبعة الكويت، مجموعة من المحققين على سنوات مختلفة.
4. جاك لاكان واغواء التحليل النفسي، عبد المقصود عبد الكريم، المشروع القومي للترجمة، 1999، د.ط.
5. جورج كلاس، الألسنية ولغة الطفل العربي، بيروت: مطبعة نمنم، 1984 ط.٢.
6. دراسة صوتية ودلالية في شعر الطغرائي، ميثاق حسوني سلطان، مجلة كلية الآداب، العدد 101.
7. سر صناعة الإعراب، - ابن جني تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط 1، سنة 1985: 6.
8. علم اللغة العام: فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق ثقافية، 1985، ط3.

9. الفكر البيني في اللســـانيات الحديثة، اتجاهات في اللســـانيات النفســـية، خلود صـالح عثمان الصـالح، فاطمة جازي سـعيد البقمي، مجلة الدراسـات العربية، كلية دار العلوم- جامعة المينا، د.ت.
10. لسان العرب، ابن منظور
11. النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، 1998، ط1.